AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

دور المطابع العربية في موكب الحضارة الإنسانية في نيجيريا: آفاق وأبعاد

[THE ROLE OF ARABIC PRINTING PRESSES IN THE PROCESSION OF HUMAN CIVILIZATION IN NIGERIA: PERSPECTIVES AND DIMENSIONS]

Umar Muhammad Lawal Al-Imam[1]* & Muritala Imam Akeyede[2]

[1] Department of Arabic Studies, Faculty of Arts, Federal University, Lafia, Nasarawa State Nigeria

[2] Department of Arabic, Faculty of Arts, University of Ilorin, Ilorin, Kwara State, Nigeria

* Corresponding Author: *umarmuhammad.edu.ng@gmail.com*

Received: 8/1/2023 *Accepted: 19/1/2023* *Published: 31/3/2023*

ملخص

تسعى هذا البحث إلى دراسة دور المطابع العربية في موكب الحضارة الإنسانيَّة في نيجيريا، مع العلم اليقين أنَّ هذه الطباعة أحدثت آفاقا جديدة في خدمة الحضارة الإنسانية في جوانب متعدّدة، وذلك لدفع عجلة العلوم الإنسانية والمعارف العمرانية وبدون الطباعة قد لا تبلغ الحضارة الإنسانية إلى تلك المبلغ الكريم الذي يشار إليه اليوم. ولأهمية هذا الموضوع في مجال الدراسة وتحقيق تلك الأهداف النبيلة حول هذا الموضوع، يستخدم البحث المنهج التاريخي لتوثيق بعض الحقائق التاريخية التي لها علاقة وثيقة بالموضوع، كما يوظف المنهج الوصفي وذلك لوصف تلكم الأدوار الساميَّة التي تقدمها الطباعة لدفع عجلة التقدّم للحضارة الإنسانيَّة راجيًا الإجابة عن هذه الأسئلة الآتية: ما هي الطباعة العربية؟ وهل هنالك أدوار للكتاتيب العربية تجاه تطوير المعارف الإنسانية؟ متى نشأت المطابع العربية الحديثة في نيجيريا؟ وما تلك الأدوار التي تقدمها المطابع العربية في نيجيريا؟ وهل هنالك تحديات تعوق دونها عن تحقيق تلك الأدوار؟ وفي آخر المطاف تبينت أمام الباحث نتائج متعددة منها: تنمية المهارات الأدبية واستخدامها استخدامًا سليمًا في جميع الأنشطة الاجتماعيَّة، وذلك بمقتضى الخطوات التي يتبعها العقل في التفكير، باستدعاء جملة من المهام التي يؤديها لرفع مستوى الحضارة الإنسانيَّة. ومنها: ضرورة توفير بيئة تعليميَّة مشوقة يسودها الأمن والاستقرار، وتعمل على تحقيق الإبداع وتنميته بين الجماعة والأفراد.

ومنها: التّدرج في التطوّر التربوي والعلمي الذي تتميَّز به المجتمعات المتقدّمة، والتي لم تأت صدفة، وإنما أتتْ عن طريق البحث في أقصد الطرائق التعليميَّة، وأجيد الأساليب التربويَّة.

الكلمات المفتاحية: الطباعة العربية، الحضارة الإنسانية، الأدوار، الآفاق، التراث العربي في نيجيريا

Abstract

This research aims to study the role of Arabic printing presses in the procession of human civilization in Nigeria, knowing with certainty that this printing has created new horizons in the service of human civilization in various aspects, in order to advance human sciences and urban knowledge, and without printing, human civilization may not reach that generous amount which is referred to today. Because of the importance of this subject in the field of study and the achievement of those noble goals on this article. The research uses the historical method to document some historical facts that are closely related to the subject. It also employs the descriptive approach to describe those sublime roles offered by printing presses to advance the progress of human civilization, hoping to answer the following questions: What is Arabic printing press? Are there roles for Arab writers towards the development of human knowledge? When did modern Arabic printing presses originate in Nigeria, and what are the roles offered by Arab printing presses in Nigeria? Are there any challenges that impede them from achieving these roles? In the end, the researcher found several findings, including: the development of literary skills and their proper use in all social activities, according to the steps that the mind follows in thinking, calling for a number of tasks that it performs to raise the level of human civilization. Among them: the need to provide an interesting educational environment in which security prevails and stability and works to achieve creativity and development between the group and individuals. Among them: the gradual educational and scientific development that characterizes advanced societies, which did not come by chance, but rather came through research in the most suitable educational methods and the best educational methods.

Keywords: *Arabic printing press, human civilization, roles, horizons, Arabic heritage in Nigeria*

Cite as: Al-Imam, U. M. L., & Akeyede, M. I., (2023). Dawr al-Matabi' al- 'Arabiyyah fi Mawkib al-Hadarah al-Insaniyyah fi Nijiriya: Afaq wa Ab'ad. *Afaq Lughawiyyah, 1*(2), 66-80. https://doi.org/10.37231/afaq.2023.1.2.56

© Penerbit Universiti Sultan Zainal Abidin, 2026. This work is licensed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY) (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

مقدمة

كانت المطابع العربية من وسائل نشر الثقافة العمرانيَّة، في العصر الحديث عبر كل من الدول العالميَّة. وساهمت مساهمة جبارة في عرض وتقديم عديد من المخطوطات المعرفية العلمية التي قد يمكن أن تتلاشى لولا وجود هذه المطابع في جميع ربوع العالم. ولهذه الأدوار التي قامت بها هذه المطابع العربية في حراسة الثقافة الإنسانية تأمل هذه الورقة البحث عن "دور المطابع العربية في موكب الحضارة الإنسانية في نيجيريا": آفاق التطور والازدهار. ولكي يسهل تناول هذا الموضوع تناولًا علميًّا منطقيًّا منهجيًّا تحدد الورقة النقاط العامة الآتية:

- مفهوم الطباعة المعجمي والاصطلاحي
- دور الكتاتيب العربية القديمة في تطوير المعارف الإنسانيَّة
- المطابع العربية الحديثة في نيجيريا نشأة وتطور
- بذور الحضارة الإنسانيَّة عبر المطابع العربية في نيجيريا
- المطابع العربية في المجتمع النيجيري إنتاجاتها وتحدياتها

مشكلة البحث

قد طال الحديث عن الأدوار التي تقوم بها المطابع العربية في خدمة المعارف الإنسانيَّة، سوى أنه لم تصرح تلك الأدوار وكيفية تقديم تلك الإسهات مع كثرة هذه المطابع في دولة نيجيريا إلا أنَّ المطابع العربية قليلة جدا، ولهذا تأمل هذه الورقة نظرة تلكم الأدوار الساميَّة التي تقدمها المطابع العربية في نيجيريا في نشأة العلوم الإنسانيَّة، وتقدم المعارف العمرانيَّة على حد السواء.

منهج البحث

يستخدم هذا البحث المنهج التاريخي لتوثيق بعض الحقائق التاريخيَّة التي لها علاقة وثيقة بالموضوع كما يوظف المنهج الوصفي وذلك لوصف تلكم الأدوار الساميَّة التي تقدمها الطباعة لدفع عجلة التقدم للحضارة الإنسانيَّة.

تعريف المصطلحات

- **الطباعة بين مفهومها المعجمي والاصطلاحي**

أولاً: المعنى المعجمي:

الطباعة مصدر الفعل الثلاثي (طبع)، وتعنى في اللغة ترك أثر لمؤثر ما ينقله من سطح لأخر على أيّ من السطوح أو المجسمات المختلفة. وقد يكون هذا الأثر ماديًا مثل أثر الأقدام على الرمال، والذي عمل عليه قصاصو الأثر. ويسجل التاريخ هذا المعنى لكلمة الطباعة حيث وجد الإنسان نفسه منذ بدأ الحياة على الأرض في حاجة إلى تسجيل الكلمات التي ينطق بها، وهذا جعله يفكر في اختراع الكتابة، ثم في اختراع الوسيلة المناسبة لتسجيلها. ولقد أخذتْ وسائل التسجيل تطور جيلاً

بعد جيل. لذلك فقد أصبحتْ الطباعة تعرف بأنَّها "الفن والعلم الذي يمكن عن طريقها معا نقل الحروف والرسوم والصور" (Mubriy, 1996). ومن ثم فلا بد من توفر ضروريات أربع أساسيات هي:

١) السطح الطباع

٢) الورق أو الوسيط الذي ستتم الطباعة عليه.

٣) الحبر الطباعي (كوسيلة لنقل الأشكال والحروف من السطح الطباعي إلى الوسيط الذي يتم الطبع عليه).

٤) وسيلة الطبع وهي ماكينات الطباعة.

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي

أما الطباعة بالمفهوم الإنتاجي؛ فتعني كل ما يحول الحروف والأشكال والرسوم من سطح لآخر لإنتاج شيء جديد في مجال الثقافة والعلوم، وما يقضي حاجات الناس والمصانع والأسواق من مطبوعات إعلانية، ومواد للتعبئة والتغليف إلى غير ذلك من الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية. وتعرفها بعض المراجع: "بأنها تكنولوجيا إظهار المعلومات بما تضمنه من أشكال وصور وكلمات عن طريق استخدام أيّ أسلوب من أساليب التقنية الحديثة. أو هي عملية انتاج نسخ متشابهة من أصل معيّن، حيث تكون الطباعة بهذا المفهوم وسيلة لإنتاج طبعات من أصل معيَّن، وبتكاليف متناقصة وبما يلبّي الحاجات المختلفة" (al-Mukashif, 2011).

- **دور الكتاتيب العربية القديمة في تطوير المعارف الإنسانية:**

فمما لا غرو فيه أنّ الكتاتيب العربية هي التي غرزت بذور التعليم في ربوع العالم، حيث وضعت منهج التعليم الابتدائي الأساسي من الدين والقراءة والكتابة والدعاء، يقول الله تعالى: "اقرأ باسم ربّك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم" (سورة العلق، آية: ١-٥)، وضعت الآيات بعض أدوات التعليم واكتساب المعارف الإنسانية وهو القلم. وكذلك يلاحظ في هذه الآيات الكريمة أيضا النقاط الهامة التالية وهي:

١) أوّل أمر إلهي للإنسان وهي القراءة، "اقرأ باسم ربّك"
٢) أولى أداة ذكرها الوحي المقدس وهو القلم، "الذي علّم بالقلم"
٣) أول وصف إلهي للإنسان وهو القدرة على التعلّم، "علّم الإنسان ما لم يعلم"

نجد هنا إشارة واضحة إلى أنّ العلم الذي هو (القراءة والقلم أو الكتابة والتعلّم) أساس كل شيء. ولقد حبا الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بالرسالة المحمدية التي ختمت كل الرسالات، ولخّص أمر هذه الرسالة، والسنة المحمدية شارحة لهذا الكتاب المجيد الذي يحتوي ويستوي الماضي والحاضر والمستقبل. فمن هنا نفهم أنَّ الإنسان يكتسب من هذه الكتاتيب المهارات الإنسانيَّة الآتية:

• **مهارة القراءة والكتابة:** تسهم الكتاتيب في اكتساب مبادئ المعارف الإنسانيَّة وخاصة أساسها وهي القراءة الجيّدة، حيث يشرع ويأخذ فيها هذه المبادئ على أسلوب التلقين، يتلقن الدارس مهارة القراءة شيئًا فشيئًا حتى يصبح قادرًا على القراءة بنفسه بدون مشقة، ويعرف التميّيز بين هذه الحروف العربية كلّها على قدر طاقته. وتقول الدكتورة منى طايل: لقد نشأت في القرية وحينما تعلمت نطق الحروف بعثني أبي فورًا مع أشقائي إلى الكُتّاب. وهكذا كل صغار القرية يذهبون إلى الكتاتيب منذ الصغر وحتى بلوغ سن المدرسة؛ (٦سنوات)، نكتب على لوح من الخشب. وهذا اللوح يعطينا مهارة كبيرة في ضبط الخط، وحتى عندما دخلت المدرسة كان لزامًا عليّ في الصباح الباكر أن أمر على الكُتّاب، لأقرأ على سيّدنا ما حفظته. ندرك من هذا الحديث بعض الأدوار الكريمة التي تقدمها هذه الكتاتيب تجاه المعارف الإنسانيَّة، منها؛ تعليم اللغة العربية ثم مهارة القراءة والكتابة على حدّ السواء. لأنَّه لا يكمن تعاطي المعارف الإنسانيَّة بدون التعليم والقراءة والكتابة، وهذه الأشياء الثلاثة المذكورة كان مهدها الأول الكتاتيب العربية. ومما يؤيد هذه الرؤية أنَّ فكرة إنشاء الكتاتيب في السنة الثانية من هجرة الرسول كانت منبثقة من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث جعل فداء بعض أسرى بدر ممن لا مال لهم، أن يعلِّم الواحد منهم التي فيها عشرَة من الغلمان الكتابة فيخلَّى سبيله، فكان ممن تعلَّم منهم زيد بن ثابت (Abu Gadah, 2009).

•**مهارة الخطابة:** تسهم هذه الكتاتيب في تكوين الإنسان على الكلام والخطابة، حيث يؤمر بقراءة بعض الحروف المرسومة على الألواح أو بعض الآيات القرآنية يقرأ على زملائه حتى يتمرن الجميع على تلكم المكتوبات. وهذا الإقدام على أعين الناس مما يغرس البسالة والجرأة على الإنسان منذ الصغر حتى يشب على هذه الديدنة الشريفة. وتأتي أهمية الكتاتيب دون غيرها من المؤسسات التعليمية الأخرى أيضا في كونها قائمة على تحفيظ القرآن الكريم بشكل جماعي يساعد على سرعة الحفظ والاستيعاب، ويؤكد علماء التربية أنَّ حفظ القرآن في المرحلة العمريَّة الصغيرة يظل ثابتًا في الذاكرة، ويقوّم منذ البداية اللسان العربي ويقوي مخارج الحروف.

- **المطابع العربية الحديثة في نيجيريا نشأة وتطور**

كانت المطابع العربية في نيجيريا من مواليد القرن العشرين، فأوَّل مطبعة قامت بمهمة طبع الكتب العربية هي المطبعة الأميرية بكنو، وبعدها مطبعة أَلُوشِيء ومطبعة يَنْ قَسَا، وأنشأت في كَدُونَا المطبعة الحكومية في الثلاثينيات ثم في زَارِيَا مطبعة نُولَا ومطبعة غَسْكِيًّا. أما في جنوب نيجيريا

فأوَّل مطبعة عربية هي مطبعة إِجَيْبُو أَوْدَيْ ثم مطبعة الثقافة العربية بأَغَيْغَيْ، وكانت هذه المطابع تقوم بطبع الكتب المدرسية الصغيرة، والمقالات المنشورة بالحروف العربية. ثم في أواخر القرن العشرين أخذت المطابع ودور النشر تنتشر في بلاد نيجيريا انتشارًا كثيرًا، بحيث توجد في كل ولاية من ولايات شمال نيجيريا، وفي كل بلدة من بلدان المسلمين مطبعة تقوم بنشر الكتب العربية المدرسية وطبع اللوافت والدعوات والمجلات.

- **بذور الحضارة الإنسانية عبر المطابع العربية في نيجيريا**

ومن المعلوم أنّه ظهرت في الدّيار النيجيرية عدّة المطابع العربية والمؤسسات التعليميَّة الراقية، كما ظهرت كذلك عدّة الكتب التي تساعد على تحقيق الهدف المنشود من التعليم. فأصبح الباحثون والدارسون يقرءون النحو والصرف والبلاغة والأدب والإنشاء واللغة، وكان مؤلفوها من أبناء نيجيريا، وهذا مما يبشر بخير أنَّ وضع المطابع العربية في نيجيريا كان وضعًا رفيعًا، وحالة الحضارة الإنسانيَّة كان حالًا متميّزًا، وسيكون المستقبل باهرًا زاهرًا في صورة شيّقة بديهة. وإذا أثبتنا أنَّ المدارس العربية من إحدى العوامل التي أثّرت في تطوير الحياة الأدبية، فقد شاركتها المطابع العربية الحديثة لبذور الحضارة الإنسانيَّة في الدّيار النيجيرية، حيثما سهلت كثيرًا من مهام الطبع والنشر. ومن مواطن بذور الحضارة الإنسانيَّة عبر المطابع العربية في نيجيريا ما تلي:

مطبعة الهدى: لمؤسستها السيّدة راضية أُدُكَيْ مصطفى، كانتمن مواليد السبعينيات بمدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا نيجيريا. ولها انتاجات متنوعة في موكب التأليف والتصنيف، ومن بينها:

١) الإصابة في فن الخطابة، دراسة وتعليق، لمؤلفه الدكتور كمال المبارك علي ٢٠١٧م.

٢) المفتاح العمومي للإفصاح عن الأمثال القرآنية والتعبيرات والطلب والمراسلات، لمؤلفه الدكتور عثمان عبد السلام أَكَنْبِي ٢٠٢١م.

٣) موارد الظمآن في تراجم البلاغيّين النيجيريّين، لمؤلفه الدكتور عمر محمد الأول الإمام (٢٠٢٣م).

٤) روائع الحكم في بدائع الكلم، لمؤلفه الدكتور عمر محمد الأول الإمام (٢٠٢٢م).

مطبعة الناصرية للطباعة والنشر: أسّسها الدكتور ناصر الدِّين إبراهيم عام ٢٠١٠م، المحاضر بقسم الدراسات العربية، الجامعة الفدرالية دُتشَيْ، عاصمة ولاية جِيغَاوَا، نيجيريا. ومن ضمن انتاجات هذه المطبعة ما تلي من باب ضرب المثل دون الإحصاء:

١) المسائل النحويَّة، للمؤلف المؤسس نفسه، الدكتور ناصر الدين إبراهيم، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٢) الضان الأسود، لمؤلفه الدكتور عبد العزيز محمد سلمان الياقوتي، الطبعة الأولى ٢٠١٩م.

٣) ومضة ساطعة في أخبار العميان من النّحاة، إعداد، الدكتور قاسم إبراهيم الأيْدَيْوِي، الطبعة الأولى ٢٠٢٠م.

مطبعة المضيف للطباعة والنشر: قد تام تأسيسها عام ٢٠٠١م، على يد الدكتور عبد الرفيع عبد الرحيم أَسَلَيْجَوْ، المحاضر حاليا بقسم الدراسات العربية، الجامعة الفدرالية كَاشَرَيْ، ولاية غَوْمَبيْ، نيجيريا. استقرّت هذه المطبعة في مدينة إلورن، عاصمة ولاية كوارا، نيجيريا. قد نالت هذه المطبعة قسطًا وافرًا منذ تأسيسها في طبع الكتب والمؤلفات العربية والإسلامية. ومن نماذج منشوراتها:

١) قصص خط الاستواء لمؤلفه الأستاذ الدكتور زكرياء حسين.

٢) أساليب بلاغية في مؤلفات الإلوري، لمؤلفه الأستاذ الدكتور عيسى ألبي أبوبكر ٢٠١٠م.

٣) مقدمة في فونولوجيا العربية لطلبة العربية في الماهد والكليات بغرب أفريقيا، لمؤلفه الدكتور عبد السلام بَابَاتُنْدَيْ حنبلي، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.

مكتبة دار الثقافة للطباعة والنشر، بمدينة جَوْسِ، عاصمة ولاية بُلَاتَوْ، نيجيريا، السيّد إدريس زكرياء:

١) في قبضة العُمّال، رواية نيجيرية، لمؤلفها السيّد علي إسحاق نَمَدِي (٢٠١١م).

٢) كيد الموجود في شعري المفقود، للمؤلف السابق ذكره.

مركز كَيْوُودَمِيلَوْلَا للطباعة: تمّ تأسيس هذه المطبعة عام ٢٠٠٣م، على يد الأخ السيّد بنيامن مصطفى وهو المدير للمطبعة، وتولّت زوجته السيّدة بلقيس مصطفى ريادة هذه المكتبة. لقد ساهمت المطبعة منذ تأسيسها في مجال إخراج الكتب العربية المتميّزة، كان مقرّها بمدينة إلورن، لم تكن الطباعة وحدها عمل المطبعة، بل تقوم بأنشطة علمية أخرى، مثل: إخراج المذكرات، والبحوث العلمية مع تجليد الكتب. ومن ضمن إنتاجاتها ما تلي:

١) مكنز الجناس في مناجاة؛ يا محيي الرفات، لمؤلفه الدكتور عمر محمد الأول الإمام (٢٠٢١م).

٢) الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري، لمؤلفه الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا السعدي، الطبعة الأولى: ٢٠١٢م-١٤٣٣هـ.

٣) أغلى العبر في مرثية العلامة الكبري، للسيّد عبد القادر أَوْغَانِيجَا، الطبعة الأولى (٢٠٠٧م).

مطبعة النور للطبع والنشر: وهي من أهم المطابع العربية في لاغوس، والتي نشرت أفضل كتب بالعربية، ومقرها في حارة مُوشِنْ لاغوس.

مطبعة الحكمة للتصميم والنشر: وهذه المطبعة لمؤسسها الأخ إبراهيم سليمان أَلَبِي، له فن جديد ممتاز في عملية نشر الكتب ويعتبر من الذين أرجعوا للطباعة العربية مكانة لائقة، وقعت هذه المطبعة بحارة أَمُوكَوْكَوْ لاغوس. ومن ضمن انتاجات هذه المطبعة في موكب التأليف ما يلي:

١) العقّاد ورؤيته النقديّة، لمؤلفه الدكتور عبد الحكيم عيسى جبريل (٢٠٠٩م).

٢) دراسات في شعر المدح لدى شعراء لاغوس نيجيريا، للمؤلف السابق ذكره (٢٠٢١م).

مطبعة الفوز: هذه المطبعة من أهم المطابع العربية تعلم صاحبها فن النشر والتوزيع عند صاحب مكتبة الحكمة كان مقرها في وَرَيْلَيْ لاغوس. مع كل ما بذله الكاتبان من الجهد لنيل معظم إنتاجات هذه المطبعة، قدّر الله ما شاء فعل بظهور كتاب واحد لا غير من طرف خفيّ، بعنوان؛ أرض السودان، ديوان الشعر لناظمه، السيّد أبي فوّاز مصطفى سعيد أَوْلَاوُمِي، الطبعة الأولى (٢٠١١م).

مطبعة مركز الهلال: كانت من أهم المطابع العربية في لاغوس (Jibril, 2021).

- **المطابع العربية في المجتمع النيجيري إنتاجاتها وتحدياتها**

تعتبر الطباعة موكب الإبانة والإفصاح عما يختلج في نفس الإنسان من أفكار ومشاعر، أما على الصعيد التعليمي، فهو العمل الذي يسير على وفق خطّة متكاملة للوصول بالدارس والباحث إلى مستوى يمكنه من ترجمة أفكاره ومشاعره وخبراته شفاهية وكتابية بلغة سليمة على وفق مرن، ونسق معيّن. وللكتابة والخطابة أهمية قصوى ضمن المهارات العلميَّة في الحقول البيانيَّة التدريبيَّة، فلا نستطيع أن نتصور اللغة دون صورتها الكتابية، ولا نحصل على روعة الكتابة دون جودة الطباعة. إنَّ الكتابة جنين، وكانت الطباعة إنجابها، والكتابة أمر أساسيّ بالنسبة للمعلمين والمتعلمين، وبجانبها الطباعة لبناء ثروة كبيرة من الأفكار والمفردات لدى الباحثين والدارسين.

أولاً: إنتاجات المطابع العربية في نيجيريا:

إنَّ منافع الكتابة التي تنتجها روائع الطباعة إذا أردنا إحصاءها لا نجد لها نظيرًا ولا شبيهًا. كونها تتعدى صناعة الفكر إلى صناعة الإنسان واستحداث قيّم الحضارة والنهضة لديه: إنَّ على مستويات شخصيته كقارئ وباحث ومؤلف ومبدع، أو على مستويات التحصيل التي يُمكن بها الآخر في مجالات معارفه. لأنّ الكتاب لا جغرافية تحدُّه، ولا مانع يصدُّه من الوصول للقارئ، لأنّ الثقافة

هي ملك من الإنسان إلى أخيه الإنسان في أصقاع الأرض ومشارب الدنيا، كونه يفتح نفسه على الأنا في تدفقات المعرفة، وعلى الأخر في التمكن من قراءة وفهم واستيعاب تلك المعرفة، هذا ما جعل شأن الخضارة الإنسانية يرتفع بغية العلوّ والرفعة من خلال سِنَي المثابرة والكتابة والطباعة والقراءة والدراسة والتحصيل، حتى أنَّ المعرفة في حقيقة الأنا هي السبيل المترجم لكل رغبات النفس وأدات الضمير والعقل. ومن ثم فإنَّ الآخر هو أيضا يتجاوب مع حتمية الذات، ولا ينفصل عن التكوينات المترجمة للمعرفة العامّة، التي حصلت وتحصل بين مضمون الكتابة نتيجة المطابع في تتبع وتقييد إسهامات وإنجازات لإعطاء فكرة عامة عبر انتشار الوعي العربي بالمصالح القومية والتحديات العصرية.

عرض بسيط عبر منافع الطباعة العربية في نيجيريا:

١) تيسير النشر بتوطيد الطبع

كان أصحاب التأليفات فيما قبل العشرين في هذه البلاد يعانون الصعوبات المختلفة، وتواجههم المشاكل المتنوعة، في رحاب طبع مؤلفاتهم وإخراج المخطوطات إلى حيز الوجود لقلّة المطابع، وعدم توفّرها قريبًا إليهم. وما يكلفهم من العناء والسفر إلى أماكن بعيدة قبل الحصول على مآربهم ورغباتهم، لكن تحسنت الحال منذ أواخر القرن الماضي بتوفر دور النشر في جميع الولايات النيجيرية، وفي أكثر بلدان المسلمين، حيث وجد المؤلفون وأصحاب القلم السبيل مفتوحًا أمامهم لنشر مكتوباتهم وإيصال إنتاجاتهم إلى القراء، فعمتْ المنافع واتسعت رقعة اللغة العربية في البلاد، وربما تصدت بعض هذه المطابع إلى تخفيف مؤونة الطبع للمؤلفين الفقراء لا يملكون المبلغ الكافي لطبع إنتاجاتهم، وذلك بتأجيل بعض تكاليف الطبع إلى بعد إنجاز الطبع وبيع بعضها قبل تسديد ما تبقى من المال.

٢) توجيه الموهوبين زمام القلم نحو الكتابة

صار دور النشر والطباعة عاملًا كبيرًا وحافزًا مشجّعًا للعلماء والدارسين على الكتابة والتأليف، حيث أدركوا أنَّ ما يكتبونها تصل إلى القراء بصورة واضحة فينتفعون بها، ويرجع إليهم الثناء والدعاء بالخير، فلوحظ في أوساط المثقفين بالعربية المسابقة والمبادرة إلى التأليف في الفنون العلمية من فقه وحديث وتوحيد وتجويد وسيرة، والكتابة في الفنون الأدبية من قصّة ورواية ومسرحية ،مع إصدار الدواوين الشعريَّة، وإعداد المقالات العلميَّة والكتب المدرسيَّة، ونظم القصائد أيام الحفلات والمناسبات العلميَّة، والأعياد الدّينيَّة، مع توزيعها على الحضور للإفادة والاستفادة.

٣) حفظ الإنتاجات العلميَّة عبر العصور

يفيد فن الطباعة بكثرة لحفظ الإنتاجات العلميَّة في موكب الخلود والتجديد جودةً، دون الرقود في الركود رديئةً. نبغ في هذه البلاد علماء مشهورون أصحاب مؤلفات قيّمة، تشهد لهم إنتاجاتهم بتفوقهم وعلو كعبهم في اللغة العربية وفنونها، وبجانب هؤلاء العلماء علماء آخرون زهدوا في الدنيا وما فيها، كانوا يرون فيما كتبه السابقون من العلماء غنى وكفاية وإحاطة، ولشدة زهدهم وتواضعهم أبوا الخوض في الكتابة والتأليف، ومنهم من رفض الكتابة لاعتقاده تواضعًا بقلة بضاعته العلمية، وفيئة أخرى من العلماء ألقت من دون إسناد المكتوب إلى مؤلفه، فيظل المكتوب عنده أو عند بعض تلاميذه (al-Iloriy, 1987).

٤) بناء مستقبل باهر زاهر بتواصل ماضينا بحاضرنا

يسرت المطابع العربية الحفظ والاستفادة من التراث الإنساني، وأمكن من خلالها حفظ التراث من جيل لآخر. وإنَّ الطباعة هي من الأمور الحيويَّة والجوهريَّة في حياة فنوننا الثقافيَّة، وكذلك في النواحي التجاريَّة والاقتصاديَّة والحياة الإنسانيَّة. وهي لهذا تخدم التقدّم العالمي. وإذا فكرنا في معطيات الطباعة لنا في كل لحظة وإذا نظرنا لكل المتطلبات المطبوعة نجد أن هذا الفن يعطينا الكثير سواء في مجال الصحافة، أو المجلات، أو المطبوعات، أو النقود، أو الكتب، أو الطوابع، أو الملصقات وغير ذلك مما تفيد لتنمية المجال الاقتصادي، وتساعد في نهوض الجانب العلمي.

٥) إعداد الطلبة لنشر الوعي العربي وثقافته

إنَّ توسيع دور النشر في البلاد وكثرة المؤسسات الطباعيَّة ساعد في تعميم الوعي العربي بين أوساط المثقفين بالعربية وغيرهم من المسلمين، ذلك لما كانت تصدرها وتثمرها من المجلات واللوافت والدعوات والكتيّبات، التي يرغب إليها كثير من السكان أيام الحفلات والوقائع التاريخية لطبع الدعوات واللوافت والإعلانات، فصار ذلك من أسباب ازدياد الدعم والثروة للمؤسسات الطباعية عبر التنميّة الاقتصاديَّة, وبالتالي ساهم في تطور اللغة العربية لاستعمالها في شتى المجالات الحيويَّة، مع توطيد قدرتها على مسايرة الأوضاع اليوميَّة والمتطلبات العصريَّة. وقد تعلم السكان عن طريق تلك المنشورات كثيرًا من الاصطلاحات بالعربية، فعم الوعي العربي حتى بين غير المثقفين بها والناطقين بغيرها.

٦) توعية الموظفين في القلعة العربية

من الحقائق والثوابت التاريخيَّة كثرة رواد اللغة العربية في هذه الدِّيار منذ منتصف القرن الماضي إلى الوقت الحاضر، وكثرت بذلك المؤسسات التعليميَّة من المدارس الثانوية الأهلية والحكومية إلى المعاهد العليا والجامعات التي تدرس فيها اللغة العربية، فتضاعف الحاجات والدواعي إلى إيجاد وتأسيس مراكز النشر والطباعة، لتلبي حاجات المؤلفين والدارسين على مختلف المستويات العلميَّة.

وقد أدرك بعض المثقفين بالعربية هذه الحقيقة والحاجة فتبادروا إلى الاستثمار في إنشاء المطابع العربية لنشر الثقافة العربية. وقد تكلفت هذه المطابع بالدخل والثروة لأصحابها ما يغنيهم للمعيشة اليومية، كما وفّرت لعدد كبير من السكان من مثقفي اللغة العربية وغيرهم الوظيفة على وجه الاستمرار. ولما كان القيام بمهمات الطبع والنشر يحتاج إلى القدرات العلميَّة والخلفيات المعرفيَّة والمهنيَّة، وخاصة التعمّق والإتقان للغة اضطرت الكثرة من دور النشر إلى التعليم وتدريب موظيفها على إتقان العربية والتمكن في المهارات اللغويَّة بما فيها المهارة الإملائيَّة والكتابيَّة، وذلك بتأسيس الفصول الدراسيَّة والدورات التدريبيَّة المبرمجة على المستويات التعليميَّة حسب خلفيات الموظفين. وذلك نوع من الاستثمار في اللغة العربية عن طريق تشغيل المدرسين الأكفاء، والمدربين الماهرين، وقد رجعت تلك الجهود والنفقات بالصالح والخير إلى المطابع، مع دو النشر للحفاظ على روادها وزبائنها لحسن الثقة من إصداراتها ومنشوراتها (Yahqub, 2014). فينهض شعب المجتمع رجالاً ونساءً نهضة بارعة لتنمية الموارد الماليَّة، ليرتفع سمك كل منطقة على مدى اسهامات فتيانها وفتاها، فكانت هذه وتلك من أقصى الغايات لتأسيس المطابع العربية، من نشر العلم والحضارة الإسلامية، ولمساعدة الإخوة الضعفاء في المجتمع (Rodiyyah, 2021).

٧) دفع عجلة الشئون التعليميَّة والاقتصاديَّة إلى الأمام

فتق رتق الخصائص التعليميَّة والاقتصاديَّة لدى الشباب والفتيات في الدِّيار النيجيريَّة، في الجانب الإبداعي والبياني، فقد عنوا عناية بالغة بتنمية الموهبة والملكة على تذوق الفنون الأدبيَّة المتاحة لزمانها، حتى تخلق في ذاكرة الشاب المتأدب قدرة الإبداع والحكم في كل ضرب من ضروب الحياة من الطباعة، والكتابة، والتجليد، والتلوين، والتزيين، والتنضيد بأسلوب رائع مقنع وممتع. ومما نسخه الكُتّاب بمدينة إلورن عاصمة ولاية كوارا نيجيريا "تفسير الجلالين" للإمام السيوطي والإمام المحلي، وكتاب "درة الناصحين" و "رياض الصالحين" و "مقدمة العزية" و "متن الأخضري" ومتن العشماوي" و "شرح مقامات الحريري" و "مقصورة ابن دريد" و"العشرينيات" وكتاب "قال الشيخ" و "القصائد الوعظية" وغيرها من الكتب التي كانت تنسخ وتستعرض في الأسواق للاقتناء (Mukadam, 2014). وبمرور الزمان وتبادل القمريْن ظهرتْ المكتبات الجديدة والمطابع العربية الحديثة، فتكاثرتْ حتى صارت مركزًا تجاريًا، حيث يتعلّم الشُّبان والفتيات الطباعة العربية والإنجليزيَّة في آن واحد، ويكتسبون لقمة عيشهم من صناعة طبع الكُتب الدينية والبحوث اللغوية، أو الرسائل العلمية، والمجلات العربية، بالألآت التكنولوجية، بصورة جميلة جذّابة ومرنة، مع تزيين غلافها، وتنضيد سطورها. وبعد إجادة التدريب الطباعي، يقدمون الشهادات التقديريَّة للمتعلمين، ويحتفلون حفلة الاختتام والتخرُّج، يحضرها الأقارب والأحباء للتبرك بين يدي المؤسس مع شركائه المتخصّصين في هذا الميدان التعليمي. إنَّ هذه الحركات التعليميَّة، وتلكم النشاطات الثقافيَّة، تساعد الإخوة والأخوات؛ ذوي المواهب المختلفة من الإبداعات

البالغة، والأفكار النّيرة، حيث لم يجدوا فُرص العمل ولا مجال التوظيف تحت الحكومة النيجيريَّة والولائيَّة، أم الذين وجدوا الوطيفة الحكوميَّة لكنَّها لم تغن من جوههم.

ثانيًا: صورٌ من التحديات التي تواجهها المطابع العربية في نيجيريا

قد سبقت الإشارة إلى أنَّ المطابعة العربية هي أنجع أدوات نشر الثقافة في العصر الحديث وهي بلا شك قلب الحضارة المعاصرة ومرآة تقدم الشعوب فلولاها لما انتشرت العلوم والمعرفة في مشارق الأرض ومغاربها. ولقد بقي الكتاب المخطوط –بدون ريب ولا جدال- عزيز المنال لا يحصل عليه طالب العلم الفقير إلا في النادر فظل الكثير من أهل العلم محروما من الكتب الضرورية حتى جاء عصر الطباعة فأحدث ثورة في عالم الثقافة بتوسيعه لمجال المعرفة بعد أن كان حكرًا على جماعة معيّنة.

لكن مع هذا التطور الهائل بوساطة المطابع العربية في نيجيريا في نشر العلوم الإنسانيَّة في ربوع العالم النيجيري، هذا لا ينفي من وجود المشاكل والتحديات تعود دون هذه المطابع من تحقيق الغاية المنشودة التي تريد وتأمل إنجازها في دنيا الناس المثقفين. وينبغي في البداية الإشارة إلى أنَّ بعض هذه التحديّات ترجع إلى أصحاب المطابع العربية، وبعض آخر ترجع إلى المؤلفين المثقفين أنفسهم. وفي سطور تالية بعض تحديات تلكم المطابع:

- غليان الجهاز التكنولوجي المعاصر وأدواتها الذي يسهل عملية الطباعة لهيئة الناشر في حدود أيام قليلة مما يؤدي إلى حمل الكتب المخطوطة إلى من يملك شراءها، ويساعدهم في إخراجها ونشرها، وهذا الأمر يكلف أصحاب المطابع العربية في نيجيريا مؤونة ذلك الصنع ويؤرقل العمل عليهم.

- عدم توفر الخبراء الأكفاء في الثقافة العربية مما يؤدّي إلى وجود كثرة الأخطاء المطبعيَّة في الكتاب. يوجد في نيجيريا عددًا كبيرًا ممن يتخصّص في طباعة الكتب العربية ولا يتقن اللغة العربية إتقانًا جيّدًا، إلا أنَّه يستطيع قراءة العربية، وقد لا يفهم المعنى الدقيق وكيف يتمّ طباعة ذلك الكتاب جيّدًا بدون تخلله من الأخطاء المطبعيَّة. فأحوط الحل لهذه المشكلة هو أن يوظف ذوي الثقافة العربية العميقة في هذه المؤسسة التدريبيَّة التي تخدم في بث ونقل الثقافة الإنسانيَّة إلى الأجيال الصاعدة.

- كثرة التنقيح والتصقيل لدى بعض المؤلفين مما تحرقل العمل على المهتمين بالطباعة العربية

- عجز المؤلف لتقديم تكاليف الطباعة قد يؤدي إلى رداءة العمل
- استعجال المؤلف لأخذ الكتاب المطبوع في مدة قصيرة
- إنّ التطور السريع الذي أدّى إلى اكتشاف التكنولوجيا الحديثة قد وضع تحديًّا خطيرًا -عن طريق الشعور-أمام الطباعة العربية لأنَّها تتعامل مع مشكلات طباعة اللغات الأجنبيَّة، والتي تستخدم حروفًا لاتنية عند الطباعة. وقد تكون علّة هذه المشكلة تكمن في أنّ مخترعي هذه التكنولوجيا المعاصرة ليسوا بمؤمنين، ولم يجعلوا التعامل بالحروف العربية في حسبانهم في الصناعة (Meilur et. al., 2012).
- وقد ترجع بعض تحديات المطابع العربية في نيجيريا إلى الصعوبات الفنية حيث يعاني المهتمون بالطباعة بالحروف العربية هذه التحديات عند نسخ كتاباتهم إلى هذه التكنولوجيا الحديثة أصحابها لا يعرفون العربية وهذا قد يؤدي إلى بلبلة في توظيف تلك الفنيات في طباعة العربية.
- يؤمن أصحاب التكنولوجيا الحديثة أنَّ أدوات النسخ في داخل الحاسوب الآلي الذي يختزن الحروف العربية أسرع إلى حمل وتحويل الفيروس في بهبهة تكنولوجاتهم الحديثة الأمر الذي جعلهم يعتذرون ويفرون من فنية الطباعة العربية ولم يجد المهتمون بالطباعة العربية بدًّا ولا مناصا آخر إلا إليهم.

خاتمة

بعد هذه الجولة العلمية والأدبية التي استغرقتها الصفحات السابقة، ليبدئ أنَّ نقطة الانطلاق الحديث عن الطباعة من حيث المدلول المعجمي والاصطلاحي ثم عرض عن دور الكتاتيب العربية القديمة في تطوير المعارف الإنسانيَّة، ثم انطلق الباحثان إلى الكلام عن المطابع العربية الحديثة في نيجيريا من حيث النشأة والتطور ثم تطرق مدلول البحث إلى بذور الحضارة الإنسانيَّة عبر هذه المطابع العربية في نيجيريا، وتساعد في معالجة القضايا الاقتصاديَّة إلا أنَّ البحث في آخر المطاف تحدث عن إنتاجات المطابع العربية في المجتمع النيجيري وتحدياتها. ثم توصل البحث إلى النتائج المهمة منها:

١) نشر اللغة العربية ونصر علومها عبر توطيد مقاصدها التي تندرج ضمن السياق العام للمجتمع في نهوض الحضارة الإنسانية.

٢) وجوب تطوير المنظومة التربويَّة عبر المطابع الحديثة لتتبوأ اللغة العربية مكانتها المرموقة التي تستحقها جسدًا وروحًا، فاعلًا ومفعولًا.

٣) استخدام الوسائل التكنولوجية والمعلوماتية للنهوض باللغة العربية في الدّيار النيجيريَّة إلى المستوى العالميَّة.

٤) التواصل المعرفي بين أفراد المجتمع لتحقيق الغاية العلميَّة والاقتصاديَّة، وتوسيع المجال لتنمية الثقافة العربية والحضارة الإنسانيَّة.

٥) قد استغلظتْ المطابع العربية وواكبتْ اللغة العربية العديد من العلوم والمعارف طيلة تاريخها، وخاصة بعد تطور الخضارة العربية الإسلامية بفضل العبقريَّة الفذّة لدى الموهوبين زمام القلم من المواطنين، الذين تمكّنوا من نقل ما جادت به قريحة الحضارة الإنسانيَّة في رحاب التأليف والتصنيف.

٦) إعداد لغة علميَّة قادرة بأسلوب جذّاب مرن، لربط الماضي بالحاضر، بما تدفع الأمة إلى الأمام والازدهار.

٧) انتقاء المقياس الأصلح، وإبداء الأسلوب الأرجح، لنظام اللغة العربية والأقرب لطبيعتها، والأنسب لحفظ مرونتها في ظلال جودة طبع غاياتها.

٨) الإلمام بالحاجة العلميَّة والفنيَّة تجاه التجديد في مراكز التعليم العالي والبحث العلمي عبر اصطناع اللغة العربية للتعليم والمأمول والمعقول من الخبراء الأكفاء الأجلاء، في تخصّص التدريب الطباعي عبر التفكير الجدّي بالمنجز الذهني في تدارك ما فات.

٩) إبراز الجوانب المتضحة في أسمى الإسهامات وأعلى الإنجازات، مما اكتسبها التلاميذ على الشكل المطلوب، وتشجيعهم على التفاعل مع الموقف التعليمي بصورة تحقّق أهدافها، وتبلغ مقاصدها، وتقضي حاجاتها.

REFERENCES

Abu Gadah, H. A. (2009). Daorul Waqfi fi Tahzizi Taqoddumil Marifiy, Al Muhtamar Thalis Lil-AoqofBil-Mamlakatil Arabiyyah As-Suudiyyah, Al-Jamiatul Islamiyyah.

Jibril, A. H. I. (2021). Dirosatun fi Shiril- Madhi Lada Shuarau Lagos, Nigeria, ICMAH Linashir wa Taozeei, Lagos.

al-Iloriy, A. A. (1987). Misbawu D-Dirosatil-Adabiyah fid Diyarin Nigeriyah, First Edition, Misr, Darul Ma'arif.

Meilur, N., Muhammad, A., Nabil, D. & Khalil R. (2012). al-Ilamul Arabiy, Al-Ilamu wa sina'atuhu An-Nashiah, Darul Fajri, Li-Nashir, first Edition.

Mubriy, M. Z. A. (1996). Mafhuumut- Tibahat, www.uobabylon.edu.iqiuobcolleges /lecture,aspx/gectures

Mukadam, A.-R. (2014). Daorul Katateeb Al-Arabiyyah fi Isthimari Al-Lugatil arabiyyah fi Madinati Ilorin, Maqolatun Manshuratun fil Muhtamar Ad-Daoliy haolal Isthimar fil-Lugatil Arabiyyah, Dubai.

al-Mukashif, T. A. (2011). Nisomi Tahlee fil- Khalwat wa Tatowuruhu ilal Madarisil Qur'aniyyah, Jamihatul Ifriqiyyah Al-Alamiyyah, Sudan, Al-Markazul Islamiy Al-Ifriqiy, Al-Muhtamarul A'alamiywaatharuhu fi binahi Al-Hadoratil-Insaniyyah.

Rodiyyah, a.-H. (2021). Muqobalatun shahsiyatun fi Markazil Huda, yaomaI thnain.

Yahqub, A. (2014). Ishama'atu Daori Nashir fi Tatowuri Lugatil Arabiyyah fi Nigeria, Maqolatun Ilmiyatun Manshurotun fi kitabil Muhtamar Daoliy Athalis Li lugatil Arabiyyah, Dubai.